اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد
بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها
موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}
من الدراري المضيئة
{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض،
وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد
سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية
إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى
في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال:
قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟
قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها
وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد
السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوراق.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القصر الأبيض – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦)
السنة الثالثة المجلد الثامن
ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥م

العدد (١٦) السنة الرابعة ربيع الاول ١٤٤٦ هـ ايلول ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٥ م

الذكوات البيض

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - أيلول ٢٠٢٥ م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ معدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، واذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٦) المجلد الثامن

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	التوحيد في أدعية الإمام علي(عليه السلام)دليل النظام وبرهان الإمكان والحدوث أنموذجاً	الباحث أمجد حمزة وحيد أ.د. ياسين حسين علوان	٨
٢	الرواة الذين قال عنهم ابن خزيمة في صحيحه: لا أعرفه بعدالة ولا جرح «دراسة مقارنة»	م.م. رنا مزاحم كامل محمد	١٨
٣	تحليل جغرافي لمؤشرات التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة البصرة حسب تقديرات السكان عام ٢٠٢٣	أ.م. عبد الجليل عبد الوهاب م. م. سهاد جمال جهاد	٣٤
٤	فاعلية استراتيجية TBL في اكتساب المهارات الفنية لدى طلبة معهد الفنون الجميلة بمادة المنظور	م. م. رواء مسعود إبراهيم اسما م. م. زينب حسين شاكر	٤٨
٥	كفاءة الخدمات الصحية في مدينة الفلوجة وأثرها على السكان	م. م. حسام الدين خليل فزع	٦٢
٦	مخطوط القانون الواضح في علم البيزرة دراسة وصفية تحليلية	م.د. زهيرعبد زيد شمخي أ.د.رائد امير عبدالله	٧٤
٧	إجراءات التقاضي أمام القضاء الاداري في العراق	م.م عبدالله عمر احمد	٩٢
٨	مصر بين مطرقة الاستعمار الأوربي وسندان المشروع الملاحي	م. م. علي مصدق حسن سالم	١٠٤
٩	التفكير التنسيقي وعلاقته بالكفاءة الذاتية المدركة في مادة الرياضيات لدى طلاب المرحلة المتوسطة	م.م. فوز هاشم محسن	١١٤
١٠	إيران والحرب الباردة الموقف الإيراني بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (١٩٤٥-١٩٧٩م)	م م. زهرة جابر شاهر	١٣٢
١١	الأحاديث الواردة في فضل سورة الفاتحة في الكتب الستة دراسة وتحليلاً	أ.م.د. سعد صبار صالح	١٤٨
١٢	التحول التأويلي عند الرازي: من الجدل إلى الروحانية	م. د. سعد نصيف محمد	١٦٢
١٣	أثر استراتيجية التعلم المعكوس التكيفي في تنمية المرونة المعرفية لدى طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء	م. م. هندعبدالعزيز صالح	١٧٦
١٤	الشخصية الناضجة لدى طلبة جامعة سومر	م.م أمجد هاشم عبد السادة	١٩٠
١٥	السلطة التنفيذية وفق دستور العراق لعام ٢٠٠٥ م	الباحثة: هيام فاضل نعمة الباحثة:ريم عبد صحن جاسم م.د. علي فاضل نعمة	٢٠٢
١٦	The Impact of Technological Tools on English Language Learning in Iraqi Secondary Schools	Assist. Lect: Mazin Jawad Aqeeli, Assist. Lect. Ali Sa-hib Shather	٢١٦
١٧	التامين من المسؤولية في عقود استصناع البناء	الدكتور محمد صادقي الباحث: محمد حسن طعيمة	٢٣٢
١٨	معرفة شروط التجديد في علم الكلام الجديد للسيد محمد باقر الصدر	الباحث محمد شاني محمد عبد الله أ.د ثائر أبراهيم خضير	٢٥٠
١٩	فاعلية استراتيجية التعلم التشاركي في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط لمادة علم الاحياء	الباحث: محمد محسن أمين محمد أ.م.د عزيز محمد علي أ.د. مثنى محمد جاسم	٢٥٨
٢٠	التكرار الصّرفي في ديوان الشّريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)	أ.م.د. علياء نصرت حسن	٢٧٦
٢١	العنف غير اللفظي ضد الأطفال في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م	الباحثة: ورد منصور مسلك أ.د. أحمد عبد الرزاق ناصر	٢٨٦
٢٢	العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف عند ابن جنّي وما يرادفه عند المحدثين«مقال مراجعة»	م.د. حوراء أحمد عبود	٢٩٨
٢٣	الغربة في شعر البحتري	م. د. ثامر ناصر علي حسن	٣٠٤
٢٤	العمق الدلالي لدى السيد موسى الصدر في كتاب دراسات للحياة	م. م. سالم رحيم معله	٣٢٠
٢٥	Using Augmented Reality Tools in Teaching Idiomatic Expressions in English: A Quasi-Experimental Study	Assistant Lecturer: Zaidoun Hussein Karim	٣٣٢

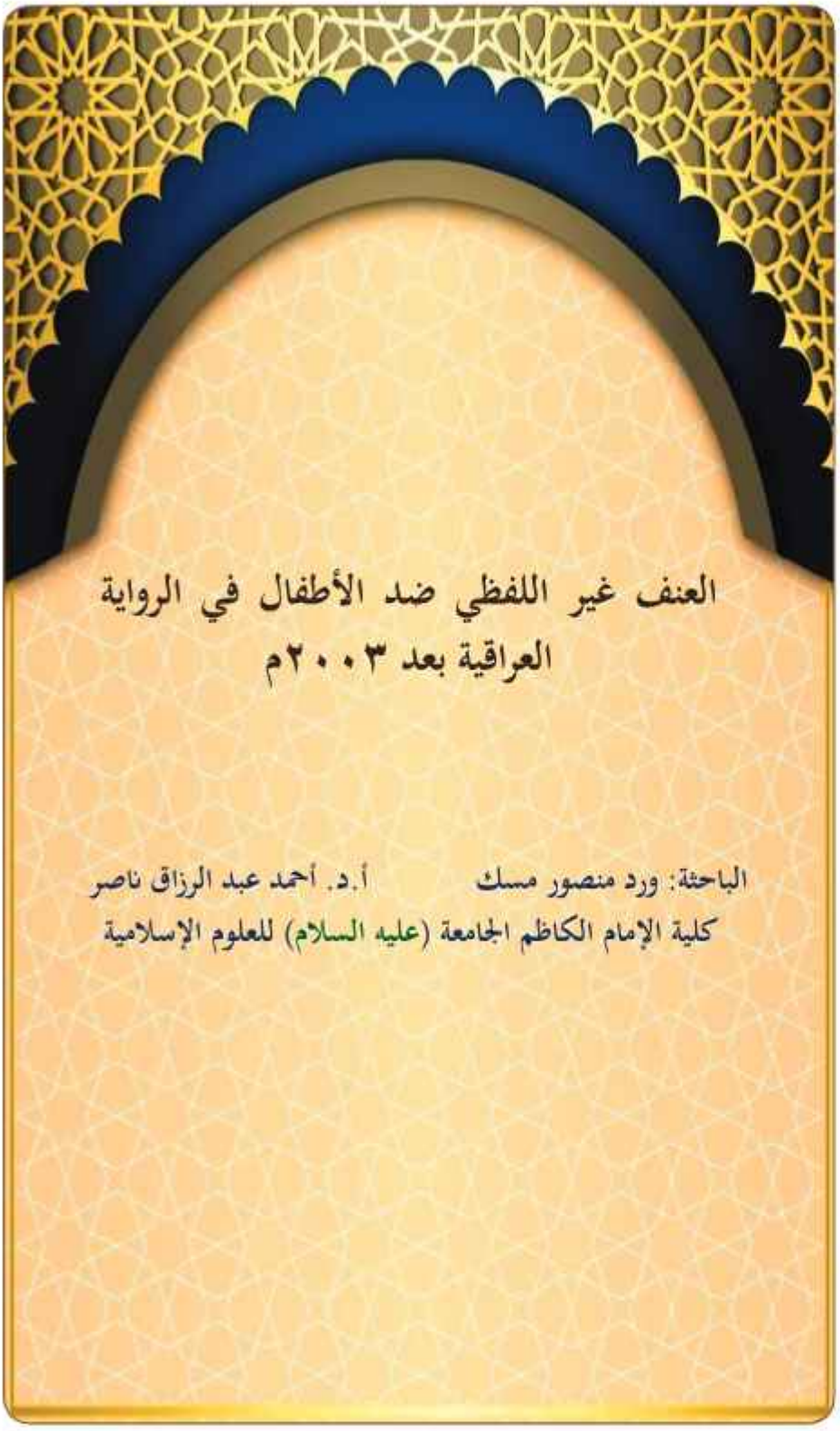

العنف غير اللفظي ضد الأطفال في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م

الباحثة: ورد منصور مسك أ.د. أحمد عبد الرزاق ناصر
كلية الإمام الكاظم الجامعة (عليه السلام) للعلوم الإسلامية

للمستخلص:
يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة العنف ضد الأطفال وأثره السلبي عليهم، ولاسيما نمط العنف غير اللفظي، وكيفية توظيف هذه الظاهرة في الرواية العراقية بعد العام ٢٠٠٣م، وذلك لأن الرواية تعكس الممارسات الإنسانية في المجتمع المحيط بالكاتب العراقي؛ إذ إن العنف من السلوكيات المنغرسة في عمق المجتمع العراقي منذ القدم لكنّه نما وازدهر بشكل واضح بعد أحداث العام ٢٠٠٣م، حتى بات العنف في العراق جماعياً وخطيراً. وكان للأطفال نصيبٌ وافرٌ منه؛ وذلك لكونهم الفئة الأضعف والأقل قدرة على مواجهة تحديات الحياة؛ لأنهم يعدون المرحلة العمرية الحرجة التي تتسم بالضعف، و الاعتمادية في توفير متطلبات الحياة والاستمرار فيها، فضلاً عن ذلك تُعد مرحلة الطفولة مرحلة حرجة؛ لأنَّ فيها تتشكل العادات والسلوكيات التي تبقى متجذرة في الإنسان حتّى البلوغ.

الكلمات المفتاحية: الرواية، العنف، الطفولة، الخوف .

Abstract:

This study aims to shed light on the phenomenon of violence against children, particularly non-verbal violence, and its negative impact on this vulnerable group. It also explores how this phenomenon is represented in Iraqi novels after 2003, based on the premise that literature reflects the social and human realities surrounding the writer.

Violence has long been rooted in Iraqi society; however, it witnessed a significant surge after the events of 2003, evolving into a widespread and dangerous collective phenomenon. Children, being the weakest and least capable of confronting life's challenges, have borne a considerable share of this violence.

Childhood is considered a critical stage in human development, during which behaviors and habits are formed and often persist into adulthood. Moreover, children at this stage are highly dependent on others to meet their essential needs and sustain their lives.

المقدمة :

يُعد العنف من أسوأ الوسائل التي يستخدمها الإنسان للسيطرة على غيره من الأشخاص وتسخيرهم لطاعته وتحقيق مطالبه، لذا فإن أكثر الناس تعرضًا للعنف هم الأضعف والأقل شأنًا كالأطفال والنساء والمسنين والمعاقين، ولا يخفى أن العنف يُلحق ضررًا بالعلاقات بين الأفراد سواء داخل الأسرة أو في المجتمع؛ إذ إن ما اجتاح البلاد بعد ٢٠٠٣م من مختلف أنماط العنف أثر بشكل مباشر بظروف التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال، مما يؤثر في حدوث تكوين اجتماعي مشوّه للطفل نتيجة لما عاناه المجتمع العراقي من أشكال العنف الاقتصاديةوالاجتماعيةوالسياسية.

والعنف غير اللفظي هو أي سلوك ينتج عنه ضررًا بشخص آخر سواء أكان ضررًا ماديًا أو معنويًا، ويشمل الاستفزاز والإحباط والتعرض للعدوانية، فضلًا عن العنف التسلطي الذي يستخدم فيه الشخص المُمارِس

للعنف طرقًا رمزية أو تعبيرية تؤدي إلى آثار نفسية أو عقلية أو اجتماعية في الطفل الموجه إليه العنف، أو يمكن أن يحدث نمط العنف هذا بشكل غير مباشر؛ كأن يكون تفريغًا للعدوانية على الطفل كبديل عن الشخص الموجه إليه العنف الأصلي، أي ليس الطفل هو المقصود، فيقع ضحية لاعتداء سلبي، مما يؤدي بلا شك إلى عدة آثار خطيرة على سلوكيات وتصرفات الطفل فيما بعد(١).

وقد يشمل هذا النمط من العنف أي أذي يُلحق بالطفل ضررًا يؤثر في أدواره أو قدراته السلوكية والعاطفية والعقلية والجسمية، نتيجة رفضه أو عدم قبوله كفرد، أو تخوفه، أو استغلاله، أو تهديده أو تحميله المسؤولية كمُدان، أو إهماله، مما يترتّب عليه ضررًا نفسيًّا واجتماعيًّا يصيب الطفل(٢).

تُعد الرواية العراقية بعد أحداث عام ٢٠٠٣م الذي يمثل زمن التحولات والفاجعة، قد أنشأت لها نمط حديث من الواقعية التي تواكب المجتمع العراقي في زمن العنف، الذي ألقى بظلاله على الإنتاج الروائي العراقي، فظهرت أشكال العنف المختلفة ضد الأطفال بتجليات واضحة لكونهم جزءًا لا يتجزأ من المجتمع العراقي الذي يعيش تحت وطأة المعاناة، وبسبب تلك الحروب والنزاعات المسلحة تتفاقم الآثار السلبية على الفئة الأضعف والأقل تحملًا للألم والمأساة، فتترك آثارًا مدمّرة على شخصية الطفل داخل المجتمع. سنتناول في هذا البحث روايات منتقاة لدراسة نمط العنف غير اللفظي، وآثاره وانعكاساته على الطفل داخل المجتمع العراقي.

– أطفال الحروب والخوف

نشرعُ في بحثنا ابتداءً من المعاناة النفسية والعاطفية التي تحمّل أعباءها الأطفال داخل الرواية العراقية، بسبب النزاعات والحروب التي عصفت بالمجتمع العراقي، التي كان دمارها النفسي يفوق دمارها المادي؛ لأن الحروب نتاجها المعنوي أشد فتكًا وقسوة من الجراح الظاهرة.

ومن هذه الروايات التي رصدنا في متنها الروائي نمط العنف غير اللفظي المتمثل بالخوف وآثاره على الطفل بسبب الحرب، رواية (العين الثالثة) لصبا مطر، فقد تناولت الكاتبة كيف يحيط الخوف بالطفولة من كل جانب أثناء فترة الحرب، عن طريق ما تسترجعه الكاتبة من ذكريات الطفولة عبر الراوية بطلة الحكاية التي تستنبط الأحداث بواسطة عدسة مجهرها لواقع المعاناة التي عاشها المجتمع العراقي بسبب الحرب، فتقول: «يتزامن موعد تناولنا لطعام العشاء دومًا إمّا مع نشرة أخبار المساء أو مع تقرير وصور ومشاهد مرعبة من وسط أرض المعركة تبثّها قناتنا التلفزيونية الوحيدة كل يوم بعد انتهاء موعد الأخبار. صور القتلى والدم والأشلاء الممددة على مساحات ترابية شاسعة تلتقطها عين الكاميرا بلا مبالاة معلنة عن موتهم الأكيد. إنهم ضحايا العدو وخسائره البشرية، تظهر أحيانًا في الصور كومة من معدات وآليات محروقة وبقايا أسلحة وعتاد وخوذ مرمية على الأرض من هول الانفجارات والقنابل. هذا ما رصدته عين طفولتي مرة، بعد أن مرت بنظرة سريعة وخاطفة على شاشة التلفاز الذي تغلقه جدتي يوميًّا في نفس الموعد لتجنبنا الدخول إلى مساحات عارية من الجنون كانت تترنح تحت أنظارنا وأرواحنا التي لا تعرف بماذا عليها أن تتشبث، طلبًا للنجاة والسلامة العقلية»(٣). من النص نلحظ استطاعت الكاتبة أن تقف على قضية مهمة، وهي مساهمة وسائل الإعلام في التسبب بالعنف بشكل غير مباشر عبر ما تعرضه من مشاهد تخترق وجدان الأطفال وعقولهم، فكثرةُ عرض مشاهد كهذه ترسّخُ في عقل الطفل والأهل أيضًا، مما يؤدي إلى إتاحة الفرصة لاستعمالها والاقتناع بها، «فكثرة عرض مشاهد العنف، فإنها ترسخ داخل عقل الطفل والأهل مما يؤدي إلى سهولة استخدامه والشعور بشرعيته. أمست الصورة المرئية خصوصًا تلك التي تبثها المحطات الفضائية للمسلسلات وأفلام الحركة مشحونة بمحتوى عنفي شديد، ثم إن نشرات الأخبار تكرس لأحداث القتل والانفجارات والصراعات والمآسي البشرية، وتقدم هذه الأحداث بشكل مكثف وكأنها حقيقية قائمة بذاتها، ومسلوخة عن سياقها التاريخي السياسي ومسبباتها وأبعادها السياسية والاجتماعية. وقد بيّنت دراسات أنّ الأطفال المواظبين على مشاهدة التلفاز من كلا الجنسين هم أكثر عدوانية

من الأطفال الأقل مشاهدة، ولا تؤثر مشاهدتهم للعنف التلفزيوني على سلوكهم فحسب، بل تؤثر أيضًا في مواقفهم ومعتقداتهم وقيمهم»(٤)، فضلًا عمّا تسببه من خوف وقلق في نفوس الأطفال، الذي يكون أثرهم وخيمًا في صحة الطفل الجسدية والنفسية، ذلك لأنه يؤدي إلى اضطراب في الجهاز العصبي اللاإرادي، مما يؤثر في الجهاز الهضمي أيضًا، فضلًا عن زيادة إفراز الأدرينالين الذي يزيد من معدل نبض القلب، والطفل الذي يشعر بالخوف يدرك أن هناك خطرًا قويًا يهدد حياته، ومعرفته بعدم قدرته على مواجهة هذا الخطر يسبب له قلقًا، فيسبب له إحساسًا بالضعف بشكل عام وغياب الأمان، حتى بوجود أشخاص حوله لأن شعور القلق نابع من داخله، وهذا الإحساس يسبب تداعيات سلبية على سلوكه الكلي، فضلًا عن عديدٍ من المشكلات التي تعوق تعليمه ومواجهته للتحديات الاجتماعية وغيرها من المشكلات التي ترتبط بالخوف(٥).

وقد أنهكت الحرب نفوس الأطفال، فصار الرعب والخوف ملازمًا لهم، وأصبح جزءًا من جدولهم اليومي، فهذا واقع الطفل في المجتمع العراقي إبان الحروب، وهذا ما ترصده الكاتبة في روايتها أيضًا، فتسرد بوساطة بطلة الرواية استحضارها لما مرت به آنذاك، عبر الاسترجاع الزمني، «أولى بوادر الخوف الذي يولّد في أرواحنا كل مساء ونحن بانتظار اندلا ع أصوات صافرات الإنذار بأشواطها الليلية، حيث يبدأ جحيم القصف العنيف برسم سيناريوهات مجنونة ومرعبة، تكبت على أنفاس الليل والناس الملتحفين بستاره الغامض المظلم في محاولة بائسة لدرء الموت والأذى وإن اقترب. لماذا يحبذون الليل لبدء عدوانهم الوحشي علينا؟... شمعة هزيلة واحدة توقدها جدتي وتخبئها بين ثنايا عباءة بلون الليل حتى لا تلمحها أسراب الطائرات التي تحوم في الخارج»(٦).

النص يبيّن توظيف الكاتبة معاناة الأطفال أثناء الظروف الصعبة التي تنتج من الحروب وما يمرُّ بهم من ضغوط نفسية تأثر بشكل مباشر فيهم، وذلك لأن شريحة الأطفال تُعد أشد الشرائح العمرية تألمًا بالأوضاع الناتجة عن الظروف الصعبة، بسبب عدم خبرتهم في مجالات المعرفة والحياة، وافتقارهم إلى سبل التكيف الكافية، فضلًا عن محدودية قدرتهم لفهم ما يواجههم من صعوبات، لأن الطفل اعتماده المباشر على أفراد أسرته في توفير متطلباته النفسية والإرشادية، وأي طارئ على حياتهم المعتادة يكون لها تأثير في نموّهم السليم، ويزيد التأثر بزيادة حدّة الظروف الطارئة على حياتهم(٧)، لذلك ضمّنت الكاتبة لهذه الأحداث في السرد للإشارة إلى ما مرّ به الأطفال من صعوبات وضغوط نفسية بسبب هذا النمط من العنف الذي مُورس على المجتمع العراقي إبان الحروب.

وتضمنت رواية (نساء العتبات) لهدية حسين هذا النمط العنفي أيضًا، من خلال العنف الذي وقع على المجتمع العراقي وترك أثرًا بارزًا في هذه الفئة العمرية التي واكبت وقع الحروب وما سبّبته من مآسٍ وآلام معنوية، غير المعاناة المادية التي أنهكت المجتمع ككل، فضلًا عمّا تخلفه النزاعات والحروب من آثار مدمّرة على شخصية ونفسية الأطفال، مما يجعل قضيتهم مهمة ومتناولة في الروايات المعاصرة، وذلك لغياب هذه القضايا سابقًا وإدراجها تحت زاوية المسكوت عنه حتى لا يعرف العالم الخارجي ما مرّ به المجتمع العراقي من مآسٍ ومحن، وهذا ما حاولت الكاتبة أن تبيّنه من خلال سردها للأحداث بوساطة بطلة الرواية (أمل) التي تسرد عبر الاسترجاع الزمني لما مرّت به من مخاوف في طفولتها بسبب أحداث الحرب، فباتت ذكرى مؤلمة ترافقها حتى عندما كبرت، فتسرد ذلك بحديثها مع الخادمة (جمار) فتقول: «في حرب إيران كنت طفلة أتحسس الرعب على الوجوه من خلال وجه أمي المذعورة، فأرتعب حتى قبل سقوط الصواريخ وارتجاج البيوت، وفي عام ١٩٩١ عصفت بنا (عاصفة الصحراء) فازداد الفقير فقرًا والخائف ذعرًا، حتى بات المرء يخشى حيطان بيته»(٨). ما يمكن رصده من النص السابق هو إشارة الكاتبة للواقع الاجتماعي المحزن الذي عاشه الأطفال جرّاء ما حلّ بالبلد في أوقات الحروب، وذلك لإدراك الطفل بوجود خطر يهدد كيانه وسلامته، فضلًا عن شعوره بصعوبة الوضع من اطلاعه على تصرفات الأهل بسبب الوضع الاستثنائي الذي يتعرضون له والذين هم مصدر سلامته وأمانه، وأن البيئة المحيطة بالطفل مهمة في سلامته النفسية والصحية، فإذا كانت مضطربة أثّر ذلك في سلامة حياته، فضلًا عن

أشكال الأثر الذي تتركه هذه الظروف يختلف من طفل إلى آخر حسب العوامل الداخلية والخارجية للطفل، فإدراك الأطفال يتفاوت من واحد إلى آخر على نفس الحدث الطارئ الذي يقع عليهم، فضلًا عن حدّة الاضطرابات النفسية الناتجة عن الحدث الطارئ على الطفل ومدى قدرته على التعامل معه، وأيضًا إذا كانت هناك عوامل أو ضغوط أخرى مواكبة للحدث، مما يؤدي إلى تأثير مضاعف على الأطفال مثل فقدان أحد من المحيطين أو أذى نفسي أو جسدي نتيجة لعنف من خلال مشاهدة أو تجربة مباشرة له(٩).

وفي سياق خوف ورعب الحروب نجد رواية (ساعة بغداد) للكاتبة شهد الراوي، قد تطرقت لهذا النمط العنفي في حكايتها أيضًا، التي تسرد أحداثها بوساطة الطفلة بطلة الرواية ومراحل حياتها برفقة صديقات من الجيل نفسه وفي المنطقة السكنية نفسها، وما يواكب نشأتهنّ من حروب وحصار، حتى هجرتها من العراق بعد ٢٠٠٣م، فقد رصدت في طيات الرواية مأساة المجتمع العراقي في فترة الثمانينات والتسعينات، وما عانوه من الحروب الظالمة بأسلوب بسيط وقريب إلى خيال القارئ؛ إذ تبدأ أحداث الرواية من لحظات الخوف والفزع التي عاشها مجموعة أسر برفقة الأطفال داخل ملجأ لحمايتهم من صخب وانفجارات الحرب في عام ١٩٩١م، فتسرد الكاتبة الأحداث بلسان براءة وعفوية الطفلة التي عاشت تلك المعاناة فتقول: «في بطن هذا الملجأ الذي يشبه حوتًا كونكريتيًّا كبيرًا تتحرك على جدرانه خيالاتنا، في المكان الرطب المحصن ضد الحرب،... حين كانت سماء بغداد تحترق بالطائرات والصواريخ. قضينا أكثر من عشرين ليلة في الملجأ، عشنا خلالها الخوف، والبرد، والترقب، واللهو، واللعب، والأحلام، لم نكن نعرف وقتها ماذا كان يجري من حولنا، لم نفهم ساعتها ماذا كانت تعني الحرب»(١٠). إنّ النص السابق يوضح فكرة الحرب ومعاناة المجتمع من منظور طفلة صغيرة، عاشت مع أقرانها ليالي الخوف والرعب التي سببتها الحروب، وعلى الرغم من محدودية معرفتها وقلة وعيها بحجم المآسي والمجازر التي خارج عالمها الضيق، إلا أن الكاتبة استطاعت أن تبيّن تأثر الأطفال رغم قلة وعيهم وإدراكهم، بشكل غير مباشر بانعكاسات الحرب وتبعاتها الوخيمة، فارتسمت المعاناة على نشأتها هي وأقرانها من دون أن يدركوا ذلك؛ إذ «إن الأطفال هم أكثر عرضة للتأثّر بالأزمات كالحروب والكوارث والمجازر وغيرها، لأنهم أكثر عطبًا من الرّاشدين ولأن نموهم لم يكتمل بعد. وإذا كان علم النفس يُشير إلى أنّ الأطفال والمراهقين يمرّون في حالة السّلم ببعض الأزمات، التي قد تعوق تكيفهم النفسي والاجتماعي كعدم إشباع حاجاتهم الأساسيّة وتعرضهم للاحباطات، فإنّ الضغوطات والشدائد الناجمة عن الحروب قد تكون شديدة الوطأة عليهم»(١١).

– التمييز الاجتماعي

هو مجموعة سلوكيات تُفرض من المجتمع على الأفراد، مغزاها التفاوتُ في المعاملة والترتيب الاجتماعي بين الذكور والإناث داخل المجتمع، فمن السهل أن نلحظ التقسيم الاجتماعي للأدوار باختلاف الجنس، فيكون دور الذكورة مختلف عن دور الأنوثة، ويتم ترسيخ هذه الأدوار بأساليب لغوية عند تنشئة الأطفال، مما يؤدي إلى تثبيتها في سلوكياتهم، على سبيل المثال، دائمًا ما يتم إلحاق صفات القدرة على التحمل والشجاعة والقوة للذكور، وتُنسب صفات الرقة والعطف والحياء للإناث، مما ينتج قوالب اجتماعية معينة يصعب التحرر منها بسبب تنشئتهم على ذلك؛ إذ «يطلق مصلح التنشئة الاجتماعية على العملية التي يتعلم بها الأطفال أو الأعضاء المستجدّون في المجتمع أساليب الحياة في مجتمعهم. وتُعد التنشئة الاجتماعية هي الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال»(١٢)، وباعتبار الرواية تنقل التجارب الإنسانية بمختلف قضاياها، لأنها نابعة من الواقع الذي يعيش فيه الكاتب لها، فقد تناولت الروايات قضية التمييز الاجتماعي، ولا سيما بين الأطفال بأكثر من نمط، وهذه القضية تعد شكلًا من أشكال العنف الذي لا يقل أهمية عن سابقه، لما له من تأثير كبير في نشأة الطفل وشخصيته الاجتماعية والنفسية والصحية، «وإن

ممارسة الآباء لأسلوب التفرقة بين الأطفال قد يؤدي إلى خلق توتر في العلاقات الأسرية، وفقدان الثقة والتعاون بين الأطفال، فعندما يشعر أحد الأطفال بأن هناك مفاضلة في أحدهم عن الآخر سيتولد عنده شعور بالإحباط وبالنتيجة فقدان التوازن، لا سيما أن أكثر ما يتأثر به الطفل في بداية حياته هم والداه اللذان يشكلون له مصدر المعلومات الصادقة»(١٣).

ومن الروايات التي تناولت هذه القضية هي رواية (وقوقة) لسعد سعيد، التي وظف من خلال أحداثها لقضية التمييز في التعليم من خلال حرمان الأب للبنات منه والسماح به للأبناء الذكور فقط، وذلك عن طريق سرد الراوي لطريقة التربية التي كان يمارسها والد بطل الحكاية (مصطفى) معه ومع إخوته، فيقول: «إجبار أولاده على الذهاب إلى المدرسة المجانية طبعًا حين يبلغون السن المناسبة، وكان داعية مخلصًا للناس في مجالسها الليلية،... إلى الحرص على إرسال أولادهم إلى المدرسة لأهمية العلم في حياة الأفراد والمجتمع والوطن، وهم ما بين معارض له، أو معجب به، والغريب أن لا أحد انتبه يومًا إلى حقيقة أن أيًّا من أولاده لم ينهِ الدراسة الابتدائية، بل إن بعضهم لم يتجاوز حتى الصف الأول فيها. كان هو ينسب السبب إلى غبائهم الذي ورثوه عن أمهم، ولكن ذلك لم يمنعه من الإصرار على الحلم بأن يصبح أحدهم طبيبًا ذات يوم، ولكنه لم يفكر يومًا بأن تكون إحدى بناته طبيبة، فقد كان يرفض فكرة تعليم البنات نهائيًا»(١٤). من النص السابق نلحظ أن الكاتب كشف عن قضية التنشئة الاجتماعية القائمة على تفضيل الذكور على الإناث وعدم تمكينها من ناحية التعليم، وتُعد هي الأساس في انتشار هذه الأفكار وتطبيقها على الإناث في المجتمع؛ إذ تتّجه العوائل لإرشاد الأولاد إلى الدراسة والعمل ليكون له مستقبل وفائدة في المجتمع، وفي المقابل يتم تنشئة الفتاة على الرعاية الأسرية والزواج والإنجاب وإدارة شؤون المنزل. فضلًا عن ذلك فإن الكاتب يوضح فكرة تعزيز (الأبوية المستحدثة) في مجتمعنا، التي ترفض وظيفة الأنوثة وتشدّد على تميز الذكر وتثبيت سيطرته، فضلًا عن تحكم الأب باعتباره المحور الذي تدور حوله العائلة، فهو الحاكم وإرادته هي الإرادة المطلقة المفروضة على مجتمع العائلة، وعليه فإن أفراد العائلة لا يكونون محرومين من حقوقهم الطبيعية فحسب، بل يعيشون سجناء خاضعين غير مخيرين لحكم طاغٍ ولاستبداد وظلم دائم(١٥)، وذلك لأنه يكمن هذا النوع من العنف في «العادات والتقاليد التي اعتادها هذا المجتمع والتي تتطلب من الرجل. حسب مقتضيات هذه التقاليد قدرًا من الرجولة بحيث لا يتوسل في قيادة أسرته بغير العنف والقوة، وذلك لأنها المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة المقدار الذي يتصف به الإنسان من رجولة»(١٦).

وفي رواية (نساء العتبات) لهدية حسين وردت قضية منع الإناث من التعليم أيضًا، فضلًا عن فكرة ترسيخ الأعراف الاجتماعية القائمة على منع اختلاط الجنسين منذ الصغر في اللعب والتعليم، لغرض تكييف الأفراد على عادات المجتمع وتقاليده، فقد وظفت الكاتبة لهذه القضية عن طريق شخصية (جمار) وطريقة تربيتها من أمها ومنعها من اللعب مع الأولاد في صغرها فتقول: «كنت ألعب مع الأولاد أكثر مما ألعب مع البنات، ولكن ما إن كبرت وصرت ابنة العاشرة حتى نهرتني أمي — عيب يا بنت.. أنت الآن في العاشرة، ابتعدي عن الأولاد. ابتعدت عنهم لكنني لم أبتعد عن ماجد المرهون، فنهرتني ثانية — عيب يا بنت.. ابتعدي عن ماجد.. أنت بنت وهو ولد... لم أتعلم في مدرسة.. كانت المدرسة بعيدة عن القرية وهي من حصة الأولاد»(١٧). النص السابق يبيّن طريقة التربية التي يتبعها الأهل حسب الأعراف الاجتماعية المحيطة بهم، ومن ذلك يتكيّف الأطفال على العادات التي تمليها عليهم تنشئتهم الاجتماعية فيكون لكل جنس منهم واجبات يقوم بها مختلفة عن الآخر. فضلًا عن تفاصيل أخرى تطبق على الإناث كالمنع من اللعب واللهو مع أقرانها من الذكور، فقد يتم تحديد طريقة لبسها وسيرها وأسلوب كلامها على حسب ما تورثه العادات والتقاليد الاجتماعية، مما يرتب عليها آثارًا بالغة في نفسية الأطفال من الإناث، وذلك لأن «حالة التوتر الداخلي شائعة عند الفتات المغبونة في البنية الاجتماعية التي يتحكم فيها التقليد. هذه الفئة لا تملك إلا الرضوخ خارجيًا، رغم ما يعتمل في ذاتيتها

من صراع ورغبة في التمرد وكسر القيود. الخوف الشديد من هذا التمرد الذي تقابله بتشدد مطلق الجماعة التي تشكل تهديدًا دائمًا لأفرادها بالنبذ أو التشهير أو التصفية إذا حاولوا المساس بالعرف السائد»(١٨).

أما في رواية (صخرة هيلدا) لهدية حسين فقد تناولت نمطًا آخر من التمييز القائم على ما تلقنه العادات والقيم المجتمعية للأطفال، على حسب الأعراف الاجتماعية المحيطة بالأفراد، وذلك عن طريق السرد بوساطة بطلة الرواية المغتربة (نورهان) من خلال استرجاعها لذكريات الطفولة أثناء بوحها إلى (الصخرة هيلدا) لما تحمله من ذكريات عن ما تم تنشئتها عليه من تمييز، فتسرد عن حدث حصل في طفولتها وهو موت جدها وما رافق ذلك من مشاهد التشييع، والعادات الاجتماعية المتمثلة باجتماع النسوة في حلقات اللطم والنحيب، وأثناء ذلك تستذكر باقي العادات التي تغرس في مخيلة الأطفال من الإناث لتمييزهم من الذكورة فتقول: «كانت جثته مسجاة على الأرض وكنتُ أحاول تقليدهن فأنزلق من بين سيقانهن إلى قلب الدائرة حيث يرقد جدي قبل تشييع جنازته، فتقذفني هذه اليد أو تلك خارج حلقة اللطم، كم تمنيت في ذلك الوقت أن أكبر بسرعة وأصبح لطّامة مثلهن، فتصوري يا هيلدا كيف تكون الحياة في بلد يتمنى أطفاله اللطم، بلد إذا زلّت في المرأة أقاموا عليها الحد، والحد عندنا مرهون بأطراف السيوف والخناجر، سيوف وخناجر لامعة وصقيلة لا نستحي من رفعها شعارات على أعلامنا ومنارات تسير تحتها الجموع مغيبة الوعي، تدّعي أنها وحدها من تمتلك صكًا بدخول الجنة..»(١٩). النص يكشف عمّا يتم تنشئة البنت عليه من أعراف اجتماعية قائمة على التخويف والترهيب بداعي حفظ الشرف، وذلك نتيجة الاعتقاد بأن الأنثى تشكل خطرًا على المجتمع لأنها تحمل شرف العائلة، وهي معرضة لعديدٍ من المشكلات اللا أخلاقية مثل مشكلة الاغتصاب التي بدل من معاقبة الجاني وتوفير الأمان للضحية، يتم التخلص منها تحت مسمى (غسل العار)، وهي قضية من الموروثات الثقافية الخاطئة المتولدة من التمييز الاجتماعي الذي ينشأ عليه المجتمع، ويكون السبب بتعرض الإناث لكثير من الاضطهاد والتعنيف النفسي والجسدي، ومن ذلك فإن هذه القضية تترك آثارًا متعددة تُساهم في تفكك المجتمع، فضلًا عن فقدان الثقة داخل الأسرة، وجعل الأنثى غالبًا في محل الشبهات مما يحرمها من ممارسة حياتها بصورة طبيعية، مما يساهم في تدني دورها الاجتماعي وتدهور مكانتها المهنية والثقافية(٢٠)، «ومن هذه الثقافة العنفية المكتسبة مجتمعيًا تنشأ الذكورية المحضة والنظرة المتشددة والمبالغ بها للجنس الآخر، ونعني بذلك المرأة التي ينظر لها بوصفها المقياس الحقيقي لعفة الأسرة من عدمها. وكلّما ارتفعت نسبة الذكور على الإناث في ذلك المجتمع المصغّر، شعرت الأسرة بالافتخار المعنوي، نتيجة اتصاف إطارها العام بالرجولة والفحولة وعدم الخشية من قدر العار المستقبلي. لهذا تظهر ضمن نسق التربية الأسرية ظاهرة التمييز بين الولد والبنت»(٢١).

– الأطفال داخل مؤسسات الإصلاح

تعد قضية الأحداث وما يتعرضون له داخل مؤسسات الإصلاح من ممارسات قاسية وغير إنسانية من القضايا المهمة التي سلطت الضوء عليها الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م، وذلك لأن هذه المؤسسات بدلًا من أن يسهموا في إصلاحهم تُمارس معهم مختلف أشكال العنف وسوء المعاملة، مما يعمق من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية، فضلًا عن أن غياب برامج التأهيل النفسي والاجتماعي يضاعف من مشكلة عدم القدرة على التكيف مع المجتمع بعد انتهاء فترة عقوباتهم، مما يزيد من احتمالية عودتهم إلى الجريمة.

ومن الروايات التي تناولت قضية الأحداث في السجون العراقية هي رواية (كوثاريا) لنعيم آل مسافر، الذي يبيّن في أحداثها أثر خريجي السجون في المجتمع، من الذين لا تُقدّم لهم برامج إعادة تأهيل فعلية، في ظل ضعف الدولة وغياب القانون، فالرواية تسرد حكاية عصابة إجرامية تمارس القتل والخطف والتعذيب بقيادة (سمير)، كان أفرادها نزلاء في سجن الإصلاح بجرائم مختلفة، وبعد أن يفرج عنهم يضاعفون ممارساتهم الإجرامية تحت غطاء الدين، والكاتب وظف الراوي للسرد هو نفسه بطل للحكاية من دون أن يذكر له اسمًا، فجعله شخصية

خانعة وضعيفة يدخل السجن بدلًا من أخيه (ناصر) بعد أن يقنعه بذلك، فيعترف بالقتل ثأرًا لقتل أبيهم، بدلًا منه لكي يحميه من الإعدام، ومن ذلك يسرد ما يحدث معه نتيجة اختلاطه بالمجرمين واستغلاله من قبلهم وهو بريء، فيقول: «يوم انتهت محكوميتي، وخرجتُ من سجن إصلاح الأحداث، أحسست بأن كل شيء قد تغير...، صار من السهل عليَّ نسيان دوري الذي فرضه عليّ ناصر؛ فما أنا إلا ظلٌّ لقاتل في مسرحية كتبها القدر وأخرجها ناصر، وفرض عليّ دور السجين البريء فيها، مما صيّرني دمية يحرّكها سمير بخيوط القدر... لكن البدء من جديد يحتاج إلى مؤهلات... ولا شيء لديّ سوى شهادة المتوسّطة الّتي حصلت عليها في الإصلاحية،... شهادة ومطالعات لا تؤهلاني للحصول على وظيفة عامة، أو أي عمل محترم، ومما زاد الأمر سوءًا هي صورتي في عيون الآخرين... لم أرَ في عيونهم صورة ذلك الفتى الوديع المسالم الذي دخل الإصلاحية بذنب غيره، إنما صورة القاتل الذي أخذ بثأر أبيه ونجا من حبل المشنقة بسبب حداثة سنه؛ فصار مسخًا من مسوخ كوتاربا(٢٢)، التي لا تُعد... جعلني هذا أقف كثيرًا أمام المرآة، أبحث في الصورة التي تنعكس في وجهها عن ذاتي المفقودة، فلا أراها... يا للخيبة... لقد أضعت ذاتي رغم حرصي الشديد بالحفاظ عليها صافية، نقية، مُحبّأة في أعماقي، غير متأثرة بكل ما كنت ألاقيه في الإصلاحية من أمور تشوّهها لكني اليوم أكتشفت . بعد انقضاء المحكومية. أني أضعتها...»(٢٣). النص يسلط الضوء على التحديات الاجتماعية الكبيرة التي تواجه الأطفال من هذه الفئة، وذلك بسبب ما يواجهونه من ممارسات عنفية، وسوء في المعاملة داخل السجن تعمق من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية بدلًا من تقويمهم ببرامج تأهيل تساعدهم في الاندماج في المجتمع بعد قضاء فترة عقوباتهم، مما يساهم في احتمالية رجوعهم إلى السلوك الإجرامي.

وذلك لأن العنف والمعاملة السيئة للأطفال يعود بأثر سلبي على تصرفاتهم، وهذا ما أشار إليه الكاتب عندما بيّن أن المسجونين سابقًا أصبحوا عصابة إجرامية تمتهن القتل والخطف، وسواها من الممارسات العنفية، في تجلٍّ بارز للعدوانية التي عكستها تجربة السجن، وذلك لأن الأفعال العدوانية مكتسبة، يتعلمها الأطفال عندما يمرون بخبرات ذات سلوك عدواني، أو نتيجة مشاهدة آخرين يقومون بأفعال كهذه؛ إذ إنّ العدوانية لا تمثل سلوكًا فطريًا بل هي سلوك اجتماعي مكتسب، يتعلمها الطفل من بيئته عبر تجاربه ومعايشته للآخرين، فتتشكل لديه من خلال الملاحظة والتقليد، ومن ذلك تكون التنشئة الاجتماعية وسيلة أساسية لغرس السلوك العدواني في الفرد من خلال ما يراه من مظاهر وتصرفات في محيطه(٢٤)، وهذا ما يحصل مع الأحداث المفرج عنهم بعدما يرونه من سلوكيات وممارسات عنفية وقهرية غير إنسانية تمارس ضدهم في ما تسمى بمؤسسات الإصلاح، إذ تؤكد القوانين الدولية والأنظمة المحلية على أهمية إصلاح الإحداث وتأهيلهم اجتماعيًا وعلميًا ونفسيًا، من خلال اعتماد برامج إصلاح وتأهيل متكاملة ومدروسة بدقة، تضمن اندماجهم بشكل جيد ومفيد وفعّال في المجتمع(٢٥)، لأن خلاف ذلك يؤدي إلى تداعيات سلبية وخيمة على مستقبلهم، يرجع ذلك لانعدام قبولهم اجتماعيًا بعد قضاء عقوبتهم في السجن بسبب ما معروف عن واقع هذه المؤسسات داخل المجتمع العراقي فيقع الحدث ضحية لذلك.

أما في رواية (وجوه لتمثال زائف) لحسين السكاف، فقد تعمق الكاتب في سرد ما يواجه الأحداث من عنف وانتهاكات داخل مؤسسات الإصلاح، عن طريق توظيف الكاتب للسرد بواسطة بطل الحكاية (مرهون)، الذي كان أحد نزلاء سجن الأحداث بعد أن دخله بتهمة قتل زوج أمه الذي كان يعنفه، وهو في عمر العاشرة، فضلًا عن أنه استُخدِم من قبل مسؤولي السجن لتنفيذ الجرائم داخل الحبس مقابل توفير الحماية له من الآخرين، فقد أشار الكاتب إلى أكثر من نمط عنفي يواجه الأحداث داخل السجن، ومن ذلك يسرد عن أبرز ما يقابلهم من حالات عنفية هي الاغتصاب التي يتعرضون لها من قبل الأكبر منهم سنًا، بسبب غياب الإرشادات الأخلاقية والتعليمية، نتيجة غياب برامج الإصلاح والتأهيل، مما يؤدي إلى نشوء أفراد يفتقرون إلى

الأخلاق والثقافة الدينية والاجتماعية، مما يدفعهم إلى ارتكاب مثل هذه الممارسات غير الأخلاقية مع الآخرين، ويؤكد الكاتب على ذلك في أكثر من محل في الرواية فيقول على لسان (مرهون): «في سجن الأحداث،... تعلمتُ الدفاع عن النفس بكل الطرق المتاحة، وتعرضتُ إلى محاولات اغتصاب عديدة من قبل الأحداث الذين كانوا أكبر مني سنًّا، ولكني وفي كل مرة كنت أنجو بطريقة ما»(٢٦)، «غفوت بعمق، ولكني وبعد فترة لم أتبيّنها، شعرت وكأنني في كابوس مميت، سرعان ما تبيّن أنه واقع، فهناك من يحاول خنقي. تحركتُ قليلًا ولكني لم أستطع، ثم شعرت باختناق، انتفض جسدي هلعًا، فتبيّنت أن شخصًا قد التصق بي من الخلف وهو يضع خرقة على فمي كي لا أصدر صوتًا. شخص ما كان يريد اغتصابي، هذا ما فكرت به لكثرة حدوث هذه الأفعال داخل السجن. استطعت التخلص منه، وصرت قبالته مباشرة. عرفتُهُ كان حازمًا، السجين الذي التحق بنا منذ أسبوع واحد فقط، كان أكبر مني سنًّا كان على مشارف الثامنة عشرة، وأنا ابن الخامسة عشرة، كان أطول مني قليلًا، ولكنه نحيف جدًّا، وكنت أعتقد بأن نحافته اللافتة جاءت نتيجة التدخين الشره مذ كان طفلًا...»(٢٧). النص السابق يرصد حالة الانحراف والانحلال الأخلاقي الذي يكون عليه الأطفال داخل مؤسسات الإصلاح، فقد سلّط الضوء الكاتب على هذا الجانب الذي يمس الأخلاق باعتباره قضية مهمة وبارزة لا يُمكن تجاهلها، وذلك بسبب تنشئة هذه الفئة من الأطفال في بيئة غير ملائمة لنمو سليم لهم، فضلًا عن ذلك «تعاني هذه المؤسسات من نقص في الموارد المالية والبشرية، ممّا ينعكس على جودة الخدمات المقدمة، سواء من حيث التغذية أو الرعاية الصحية أو حتى الأنشطة التأهيلية. وبسبب هذا النقص، يُحرم الأحداث من فرص التعليم والتدريب التي يمكن أن تكون أساسًا لإعادة تأهيلهم وإعادتهم إلى المجتمع كأفراد فاعلين» (٢٨)؛ إذ إنّ الأطفال الذين ينشأون في بيئة عنفية، ستكون عادة العنف لديهم شيئًا عاديًّا ومقبولًا، ومن ذلك تكون فرصة تفعيل حكم القانون ضعيفة، إذ تشير الدراسات إلى أن التعرض للممارسات العنيفة في مراحل الحياة المبكرة لا يؤثر فقط في الاتجاه نحو العنف لدى الأشخاص مستقبلًا، بل يؤثر في قدرة الشخص نفسه وعلى صحته الجسمانية والنفسية والاجتماعية، لذلك فإن تأثير العنف في أي طفل لا يقف عنده فحسب، بل سينتقل ذلك العنف إلى المجتمع لاحقًا(٢٩).

فضلًا عن ذلك فإن طبيعة بيئة السجن ضارة بالصحة النفسية والجسدية للأطفال، لأنها تبعدهم عن الأسرة والمجتمع وتحرمهم معنى الحياة، فضلًا عن تبرئة الأهل منهم بسبب جرائمهم أو عدم قدرتهم على زيارتهم، علاوة على ذلك تُعد السجون أماكن شديدة العنف، لكثرة ما يتعرضه السجناء فيها من انتهاكات بدنية ولفظية وسوء معاملة من السجّانين، كل هذه العوامل تؤدي إلى احتمالية زيادة العنف بين السجناء، مما يخلق بيئة قاسية تؤثر في سلوكيات الأحداث خلال فترة الحبس وما بعدها، وقد أشار الكاتب في الرواية إلى هذا الجانب بوصفه أحد أوجه العنف غير المباشر الذي يواجه الأحداث خلال الحبس، فيقول على لسان (مرهون): «كنت أشعر بمكابدات بعض السجناء الذين لا يحظون بزيارة الأهل أو المعارف؛ لأني كنت أحدهم، ولكني أعرف أن لا عائلة عندي،... لكنها تشكل مصدر إحباط وتعاسة لبعض السجناء، بل كانت تغدق عليهم الشعور بالوحشة والغربة. وتحت تأثير ذلك الشعور، أصبح قسمٌ منهم أكثر شراسة وعدوانية، بينما نحا القسم الآخر إلى الخنوع والتملّق وتنفيذ الأوامر بكل إخلاص؛ بغية حماية أنفسهم من الإهانات أو الغدر. عرفت خلال أحاديثنا المسائية مقدار ذلك الخوف المتجذّر داخل أرواحهم؛ الخوف من كل شيء، فهم عُرضة للاعتداء والإهانة بشكل مستمر وسافر، خصوصًا من قبل السجّانين وإدارة السجن، وهناك من قال بأن السبب وراء ذلك يعود إلى عدم استفادة إدارة السجن من السجناء الذين لا يحظون بالزيارات؛ كون الإدارة غالبًا ما تحصل على بعض الأموال كـ (رشًا) من قبل أهل السجناء، والتي غالبًا ما يمنحوها صاغرين إلى الإدارة ثمنًا لبعض التوصيات»(٣٠). النص يشير إلى صعوبات السجن وتأثيرها في الصحة النفسية للأطفال؛ إذ إنَّ الأطفال

الذين يواجهون سلوكًا عنفيًّا في بيئتهم سواء أكان بدنيًّا أو نفسيًّا، لا ينجحون عاطفيًّا في تجاوز أثر ذلك العنف، إذ تتجلى عواقب السلوكيات العنفية على حياة الأطفال فتظهر في أفعال عدوانية أو في انعدام تقدير الذات بأشكاله كالخضوع أو انعدام الثقة بالنفس وغيرها من الأفعال السلبية(٣١). وينتج عن سوء المعاملة للأطفال في بيئةٍ قاسية كالسجن صعوبات نفسية وسلوكية تؤثر في تصرفات الطفل ومشاعره؛ إذ يتبيّن من النص الروائي أن الممارسات للإساءة المعنوية أكثر من الجسدية، مما يؤدي إلى تدمير البناء النفسي للفرد، وذلك لأن الخوف من التحقير والتقليل من شأن الفرد وارد في النص، وهو من أبرز المشكلات التي تؤدي إلى الإيذاء النفسي للأطفال الذي يُمارس عليهم من السجّانين لغرض السيطرة عليهم، وإشعارهم بالذنب والخوف وعدم الأمان من أجل معاقبته على الفعل الإجرامي الذي قاده إلى السجن، من دون إدراك بأن معاملة الطفل يجب أن تختلف عن معاملة المجرمين البالغين لما تسببه إساءة المعاملة مع الأطفال من أثر بارز في نموهم وسلوكياتهم، وذلك لأنه «حرمان الطفل من الحنان وتخفيف آلامه عن طريق الحب الأسري والعلاقات الدافئة؛ ستجعل منه إنسانًا محبطًا وحزينًا، وسيدرك في وقت مبكر أن العالم من حوله مليء بالمخاطر التي تتربص به، لذا فإن الطفل يحتاج في نموه الانفعالي إلى إشباع حاجات نفسية لديه، وقد تتأثر شخصيته بشكل كبير بما يصيب هذه الحاجات أو بعضها من إهمال أو حرمان، ويتأثر النمو الانفعالي أيضًا بالأسلوب الذي يخدم تلك الحاجات، ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى التجاوب العاطفي والطمأنينة والثقة»(٣٢)، ومن السهل إدراك فقدان كل الحاجات التي تساهم في نمو الطفل بشكل سليم في السجن، فينتج عنه فرد مشوه نفسيًّا واجتماعيًّا غير قادر على الاندماج في المجتمع بعد قضاء فترة حبسه، مما يدفعه إلى العودة إلى طريق الجريمة، لأنها لا بد من أن تجمعه مع من يشبهه من أقرانه المجرمين، الذين لا يشعر معهم باختلافه.

الهوامش:

(١) ينظر: مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة (بحث): ١٠٣.

(٢) ينظر: سيكولوجية العنف ضد الأطفال: ٣١٥.

(٣) رواية العين الثالثة: ٤١.

(٤) العنف ضد الأطفال بين الحماية القانونية والممارسات المجتمعية في العراق بعد ٢٠٠٣ (بحث)، د. إستبرق فاضل الشمري، و هند جمعة علي، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية السنة السادسة، العدد (٢٣)، ٢٠٢٤م: ٣٧٨.

(٥) ينظر: مقاومة الخوف والسلوك الفردي عند الأطفال (بحث)، د. محمد خير أحمد الفوال، كلية التربية، جامعة دمشق، الناشر مؤتمر فيلادلفيا الحادي عشر، ٢٠٠٦م: ١٥-١٦.

(٦)رواية العين الثالثة: ٤٢.

(٧) ينظر: مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة فيها: ١٠.

(٨) رواية نساء العتبات: ١٨.

(٩) ينظر: مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة فيها: ١٠-١١.

(١٠) رواية ساعة بغداد، شهد الراوي، دار الحكمة، لندن، ط٦، ٢٠١٨م: ١٥.

(١١) صدمة الحرب آثارها النفسة والتربوية في الأطفال: ٤٤-٤٥.

(١٢)علم الاجتماع، أنتوني غدنز: ٨٧.

(١٣)العنف ضد الأطفال بين الحماية القانونية والممارسة المجتمعية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ (بحث)، د. إستبرق فاضل الشمري، وهند جمعة علي: ٣٧٤.

(١٤)رواية وقوقة: ١٧-١٨.

(١٥)ينظر: النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي، د.هشام شرابي : ٢٤-٢٥.

(١٦)واقع العنف الأسري ضد الأطفال في المجتمع المدني من وجهة نظر الأطفال أنفسهم (بحث)، د. علي عبد الكريم محمد الكساب، و د.انتصار عشا، مجلة الطفولة العربية، العدد (٦٤) :٤١ .

(١٧) رواية نساء العتبات، هدية حسين : ٦٤-٦٥.

(١٨) التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي: ١٠٤-١٠٥.

(١٩) رواية صخرة هيلدا، هدية حسين: ٤٣.

(٢٠) ينظر: التمييز الاجتماعي في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ موازنة بين أعمال عبد الستار ناصر وهدية حسين (رسالة ماجستير)، تقى حامد رحيم، كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٤م: ٤٩.

(٢١) مدونة العنف في العراق، أحمد حميد: ٩٥.

(٢٢) «كائي، كائي ربا، كوثاريا: إحدى مدن العراق القديم». (رواية كوثاريا، نعيم آل مسافر: ٨).

(٢٣) رواية كوثاريا: ١٠٠-١٠٢.

(٢٤) ينظر: السلوك العدواني لدى الأبناء (بحث)، سليمة رمضان الكوت، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال . جامعة المنصورة، المجلد الرابع . العدد الثاني، أكتوبر ٢٠١٧م: ٩.

(٢٥) ينظر: الأحداث في أنظمة السجون العراقية: عقود من الانتهاكات (مقال)، متحف سجون داعش (متحف رقمي تفاعلي).

(٢٦) رواية وجوه لتمثال زائف: ٥٤.

(٢٧) رواية وجوه لتمثال زائف: ٦٢.

(٢٨) سجن الأحداث في العراق بين الأصلاح والعقاب (مقال)، الحقوقية انوار داود الخفاجي، وكالة العراق سكاي، ٢٠٢٥/١/١١م.

(٢٩) ينظر: العنف ضد الطفل العراقي بعد ٢٠٠٣م : دراسة وتحليل (بحث)، م. سعاد إبراهيم عباس، مركز الدراسات الاستراتجية والدولية/ جامعة بغداد، مجلة العهد/ العدد (١٣)، ٢٠٢٣م: ٥٣٢.

(٣٠) رواية وجوه لتمثال زائف: ٦٣-٦٤.

(٣١) ينظر: العنف العائلي ضد الأطفال أسبابه ونتائجه (بحث)، د. عماد سليم عبد، جامعة بابل/ كلية الأداب/ قسم علم الاجتماع، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٤٦، المجلد ١، ٢٠٢٠م: ٤٧٢.

(٣٢) سيكولوجية العنف ضد الأطفال: ٢٤١.

المصادر والمراجع:

• - التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ٢٠٠٥م، ط٩.

• سيكولوجية العنف ضد الأطفال، د. رشا علي عبد العزيز موسى و د. زينب بنت محمد زين العايش، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

• علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة: د. فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٤، لبنان.

• مدونة العنف في العراق (بحث روائي لأربعة عقود دموية)، أحمد حميد، دار الرافدين، بيروت، ٢٠٢٢م.
• مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة فيها، د. سوسن شاكر الجلبي، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ٢٠١٥م.
• النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، د. هشام شرابي، ترجمة: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.
• صدمة الحرب – آثارها النفسية والتربوية في الأطفال، جورية طلعت فواز، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ٢٠١١م.
• الأحداث في أنظمة السجون العراقية: عقود من الانتهاكات (مقال)، متحف سجون داعش (متحف رقمي تفاعلي).
• سجن الأحداث في العراق بين الإصلاح والعقاب (مقال)، الحقوقية أنوار داود الخفاجي، وكالة العراق سكاي، ٢٠٢٥/١/١١م.
• السلوك العدواني لدى الأبناء (بحث)، سليمة رمضان الكوت، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال ـ جامعة المنصورة، المجلد الرابع، العدد الثاني، أكتوبر ٢٠١٧م.
• العنف العائلي ضد الأطفال أسبابه ونتائجه (بحث)، د. عماد سليم عبد، جامعة بابل، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٤٦، المجلد ١، ٢٠٢٠م.
• العنف ضد الأطفال بين الحماية القانونية والممارسات المجتمعية في العراق بعد ٢٠٠٣ (بحث)، د. إستبرق فاضل الشمري، وهند جمعة علي، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية السنة السادسة، العدد ٢٣، ٢٠٢٤.
• العنف ضد الطفل العراقي بعد ٢٠٠٣م : دراسة وتحليل (بحث)، م. سعاد إبراهيم عباس، مركز الدراسات الاسراتجية والدولية، جامعة بغداد، مجلة العهد، العدد ١٣، ٢٠٢٣م.
• مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة (بحث)، د. ابتسام سالم خليفة، كلية التربية العجلات، جامعة الزاوية، مجلة كليات التربية، العدد الثاني عشر، نوفمبر.
• مقاومة الخوف والسلوك الفردي عند الأطفال (بحث)، د. محمد خير أحمد الفوال، كلية التربية، جامعة دمشق، الناشر مؤتمر فيلادلفيا الحادي عشر، ٢٠٠٦م.
• واقع العنف الأسري ضد الأطفال في المجتمع المدني من وجهة نظر الأطفال أنفسهم (بحث)، د. علي عبد الكريم محمد الكساب، و د. انتصار عشا، مجلة الطفولة العربية، العدد ٦٤.
• التمييز الاجتماعي في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ موازنة بين أعمال عبد الستار ناصر وهدية حسين (رسالة ماجستير)، تقى حامد رحيم، كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٤م.

نصوص الدراسة:

• رواية العين الثالثة، صبا مطر، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٧م.
• رواية ساعة بغداد، شهد الراوي، دار الحكمة، لندن، ط ٦، ٢٠١٨م.
• رواية صخرة هيلدا، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.
• رواية كوثاريا، نعيم آل مسافر، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ٢٠١٦م.
• رواية نساء العتبات، هدية حسين، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
• رواية وجوه لتمثال زائف، حسين السكاف، دار كتارا للنشر، قطر، الدوحة، ٢٠١٨م.
• رواية وقوقة، سعد سعيد، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، بابل، العراق، ٢٠٢٤م.

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥ م

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

general supervisor
Ammar Musa Taher Al Musawi
Director General of Research and Studies Department
editor
Mr. Dr. fayiz hatu alsharae
managing editor
Hussein Ali Mohammed Al-Hasani
Editorial staff
Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood
Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili
Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy
a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan
a.m.d. Ahmed Hussain Hai
a.m.d. Safaa Abdullah Burhan
Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi
Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy
M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara
Dr. Tarek Odeh Mary
M.D. Nawzad Safarbakhsh
Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria
Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan
Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran
Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon